السنةُ الثالثة والأربعون بعد المئتين

فيها خرج المتوكِّل من سامرَّاء لعشرٍ بقين من ذي الحجَّة يريدُ دمشق، فضحَّى[١] ببلد، [وقال أبو سليمان بن زبر: سبب قدوم المتوكل دمشق][٢] أنَّهم وَصفوا له أنهارَها وقصورَها ومستنزهاتها، فلمَّا رآها أعجبته، فنقل إليها أهله ودواوينه، وعزمَ على المُقَام بها، وشرع في بناء قصرٍ بداريا، وكان ابنُه المنتصر بسامرَّاء، ويقال: إنَّه قال ليزيد بن محمد المهلبيّ: اعملْ شيئاً يَردُّ أميرَ المؤمنين إلى العراق، فعمل: [من الوافر]

أظنُّ الشامَ تَشْمَتُ بالعراقِ ... إذا عزمَ الإمامُ على انطلاقِ
فإن تدعِ العراقَ وساكنيهِ ... فقد تُبلَى المليحةُ بالطَّلاقِ[٣]

وبعث [محمد] المنتصر بهما إلى بعضِ القيان تغنِّي بهما بين يدي المتوكِّل.

وقيل: إنَّ المنتصر زادَ فيهما: [من الوافر]

يقول محمدٌ تفديكَ نفسي ... أمَا تُبقي عليَّ من الفراقِ
فإنْ تظعنْ وتتركني مقيماً ... فلستُ أسرُّ إلَّا بالتَّلاقِ

فلمَّا سمعَ المتوكِّل الأبياتَ، ذكرَ العراق، فعزمَ على الرجوع، وخرجَ إلى الصيدِ فأرادَ جماعةٌ من مماليكه قتلَه، فعاد إلى سامرَّاء، [فكان خروجُه منها ـ كما ذكرنا ـ في ذي القعدة، ثم عاد إليها] في صفر سنةَ أربعٍ وأربعين [ومئتين]، وكانت غيبتُه عن العراق ثلاثةَ أشهرٍ وأياماً.

وقال الطبريُّ: إنَّما دَخل [المتوكِّلُ] دمشق في صفر سنة أربعٍ وأربعين[٤]، لما نذكرُ إن شاء الله تعالى.

[فصل:]وحجَّ بالناس عبد الصمد بن موسى [أيضاً]، وخرجَ بالحجِّ من بغداد جعفر

---

(١) في (خ) و(ف): فضحك. وهو تحريف.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) تاريخ الطبري ٩/ ٢٠٩، والمنتظم ١١/ ٣٠٥، والكامل ٧/ ٨٣.

(٤) تاريخ الطبري ٩/ ٢١٠.

ابن دينار، [وهو] والي طريق مكَّة[١].

وفيها توفي

إبراهيم بن العبَّاس

ابن محمد بن صُول، أبو إسحاق الكاتب، مولى يزيد بن المُهَلَّب، أصلُه من خُرَاسَان، كان من أفصح الكُتَّاب وأرقِّهم نثراً ونظماً، وكان صُول جدُّ أبيه وفيروز أخوين تركيين ملِكين بجُرجان يدينان بدين المجوسية، فلمَّا دخل يزيد بن المهلَّب جُرجان أمنهما، فأسلم صُول على يده، ولم يزل معه حتى قُتِل.

ومن شعر إبراهيم بن العباس: [من البسيط]

كم قد تَجرَّعتُ من حُزْنٍ ومن غُصَصٍ ... إذا تجدَّدَ حُزنٌ [هوَّن][٢] الماضي

وكم غضبتُ فما بَاليتُم غضبي ... حتى رجعتُ بقولٍ[٣] ساخطٍ راضي

أخذهُ من قول العبَّاس بن الأحنف خاله: [من الطويل]

تعلَّمتُ ألوانَ الرضا خَوْف هجره ... وعلَّمه حبِّي له كيف يغضبُ

ولي ألفُ بابٍ[٤] قد عرفتُ طريقها ... ولكن بلا قلبٍ إلى أين أذهبُ

وتوفِّي إبراهيمُ في شعبان بسامرَّاء[٥].

ومن رواياته: عن عليِّ بن موسى الرِّضا لمَّا قدم خُرَاسان أنه قال: سألت أبي موسى ابن جعفر[٦]: ما بالُ القرآن لا يَزدادُ على الدَّرس والنَّشرِ إلَّا مَلَاحةً؟ فقال: لأنَّ الله تعالى لم يجعله لزمانٍ دون زمان، ولا لناسٍ دون ناس، فهو في كُلِّ زمانٍ جديد، وعند كلِّ قومٍ غضٌّ إلى يوم القيامة[٧].

---

(١) تاريخ الطبري ٩/ ٢٠٩.

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٧/ ٣١. ومكانها في (خ) و(ف) بياض.

(٣) كذا في (خ) و(ف). وفي تاريخ بغداد: بقلب.

(٤) في المصادر: ولي غير وجه.

(٥) انظر تاريخ بغداد ٧/ ٣١، والمنتظم ١١/ ٣٠٧، ومعجم الأدباء ١٦/ ١٣١.

(٦) في تاريخ بغداد ٧/ ٣١: عن علي بن موسى عن أبيه موسى بن جعفر قال: سأل رجلٌ أبي جعفر بن محمد...

(٧) هذه الترجمة ليست في (ب).

أحمد بن سعيد

أبو عبد الله، الرِّبَاطِيّ المروزيّ.

قدم بغداد في أيام الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وجالسَ العلماء وذاكرَهم، قال: لما قدمتُ بغداد جئتُ إلى أحمد بن حنبل فجعلَ لا يرفعُ رأسَه إليَّ، فقلت: يا أبا عبد الله، إنَّه يُكْتَب الحديثُ عنِّي بخُرَاسان، فإن عاملتَني بهذه المعاملة رموا بحديثي، فقال: يا أحمد هل تدر أن يقال يوم القيامة[١]: أين عبدُ الله بن طاهر وأتباعه؟ فانظر كيف تكون منه، قلت: إنَّما ولَّاني أمرَ الرباط، فلذلك دخلتُ معه، فجعل يكرِّرُ القولَ عليَّ.

سمع وَكيع بن الجرَّاح، وعبدَ الرزاق، وخلقاً كثيراً، وروى عنه البخاريُّ ومسلم في الصحيحين وغيرهما.

وكان عالماً فاضلاً ثقةً صدوقاً[٢].

الحارثُ بن أسد

أبو عبد الله المُحَاسِبيُّ، أصلُه من البصرة، وسكن بغداد، وكان من جِلَّة المشايخِ، عارفاً بعلم الباطن والظاهر، والأصول والمعاملات والإشارات، جمعَ بين العلوم والحقائق، وله التصانيف المشهورة.

وقيل: سمِّي المحاسبي لأنَّه كان يحاسبُ نفسَه دائماً، وهو أستاذُ أكثر البغداديين.

وقال الجنيد: كان أبوه أسد واقفيّاً قدريّاً، مات وتركَ تسعين ألف[٣] درهم، فلم يأخذ الحارثُ منها درهماً واحداً، وكان محتاجاً إلى دانق فضَّة. وقال: قد صحَّت الروايةُ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «أهل ملَّتين لا يتوارثان»[٤] فعوَّضهُ الله تعالى أنَّه إذا مدَّ يده إلى طعامٍ فيه شبهةٌ تحرَّك في إصبعه عِرْقٌ، فلا يتناول منه.

---

(١) كذا في (خ) و(ف) وفي تاريخ بغداد ٥/ ٢٧١ والمنتظم ١١/ ٣٠٦ : هل بدٌّ يوم القيامة من أن يقال. . .

(٢) أورده ابن الجوزي في المنتظم ١١/ ٣٠٦ في وفيات هذه السنة ٢٤٣، وقيل في وفاته غير ذلك. انظر تهذيب الكمال ١/ ٣١١-٣١٢، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٠٨. وهذه الترجمة والتي بعدها ليست في (ب).

(٣) في الرسالة القشيرية ص٦٧ : سبعين ألف. وانظر مناقب الأبرار ١/ ١٦٥.

(٤) أخرجه أحمد (٦٦٦٤)، وأبو داود (٢٩١١)، والنسائي في الكبرى (٦٣٥١)، وابن ماجه (٢٧٣١) .

وقال الجنيد: مرَّ بي يوماً وأنا جالسٌ على الباب، فرأيتُ في وجهه أثرَ الجوع، فقلت: يا عم، لو ملتَ إلينا، فدخلَ الدار، فقمتُ ودخلتُ بيتَ عمي، فأتيتُه بأنواع الأطعمة من عرسٍ حُمِلَ إليهم، فمدَّ يده فأخذ لقمةً فدفعها[١] إلى فيه، وجعل يلوكها [ولا] يزدردُها، وقام وخرج وما كلَّمني، فلقيتُه من الغد، فقلت له: يا عم، سررتني ثم نغصتني، فقال: يا بنيّ، أمَّا الفاقة فكانت [شديدة، وقد اجتهدتُ في أن أنال من الطعام الذي قدَّمته إليَّ، ولكن][٢] بيني وبين الله علامةٌ، إذا لم يكن الطعام مرضيًّا، ارتفع إلى أنفي منه زفرةٌ[٣]، فأصابني أمس كذلك، وقد رميتُ اللقمةَ في دهليزكم وخرجت، فقدَّمتُ إليه كسراً يابسةً، فأكلَ منها، وقال: إذا قَدَّمت إلى فقيرٍ منها شيئاً، فقدِّم مثلَ هذا.

ذكر نبذة من كلامه

قال: ثلاثةٌ عزيزةٌ أو معدومة؛ حسنُ الوجه مع الصِّيانة، وحسن الخُلُق مع الدِّيانة، وحسنُ الإخاءِ مع الأمانة.

وقال: العلمُ يورِثُ المخافة، والزهد يورث [الراحة][٤]، والمعرفةُ تورث الإنابة. وخيارُ هذه الأمَّة الذين لا تشغلهم آخرتُهم عن دُنياهم، ولا دنياهُم عن آخرتهم. ومن حَسُنت معاملتُه في الظاهر مع جهد باطنه، أورثَه الله الهداية إليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[العنكبوت: ٦٩].

وقال الجنيد: كنتُ أقولُ كثيراً: عزلتي أنسي، فقال لي الحارث: كم تقول هذا؟! لو أنَّ نصفَ الخلق قَرُبوا منِّي ما وجدتُ بهم أنساً، ولو أنَّ النصفَ الآخر نأوا عنِّي ما استوحشتُ لبعدهم.

---

(١) في المصادر: فرفعها.

(٢) ما بين حاصرتين من حلية الأولياء ١٠/ ٧٥، وتاريخ بغداد ٩/ ١٠٨ وغيرها.

(٣) في المصادر: زفورة.

(٤) ما بين حاصرتين من طبقات الصوفية ص٥٨، وحلية الأولياء ١٠/ ٧٥، ومناقب الأبرار ١/ ١٦٦. ومكانها في (ف): بياض، وقوله: والزهد يورث الراحة. ليس في (خ).

وقال: صفةُ العبودية أن لا ترى لنفسك إزاره[١].

وقال: التسليمُ هو الثبوتُ عند نزولِ البلاء، من غير تغيُّرٍ في الظاهر والباطن.

وقال: لكلِّ شيءٍ جوهر، وجوهرُ الإنسان العقل، وجوهرُ العقل العملُ بحركات القلوب في مطالعات الغيوب، وذلك أشرفُ من العمل بحركات الجوارح[٢].

وقال: إذا أنت لم تسمع بالحقِّ كيف تجيب داعيه الجوارحُ؟!

وقال: القانعُ غنيٌّ وإن جاع، والحارصُ فقيرٌ وإن ملك.

وقال: لم تزل العارفونَ تحفرُ الخنادقَ خنادق الرضا، ويغوصونَ في بحار الرجا، يستخرجونَ جواهر الصفا، [حتى[٣]] وصلُوا إلى الله تعالى في السرِّ والخفا.

وقال: أوحى الله تعالى إلى نبيٍّ من أنبيائه: بعيني ما يتحمَّل المتحمِّلون من أجلي، وما يريد[٤] المكابدون في مرضاتي، فغداً أكشفُ لهم الحجابَ عن وجهي، فليبشر المصفُّون أعمالَهم بالنعيم المقيم، أفتراني أنساهم عملاً[٥]، وأنا أجودُ على المولِّينَ عني؟ فكيف بالمقبلين عليّ؟ وما غضبتُ من شيء كغضبي[٦] على من أخطأ ثم استعظمَ ذلك في جنب عفوي، ولو عاجلتُ أحداً لعاجلتُ القانطين من رحمتي.

وقال: الصادقُ هو الذي لا يبالي لو خرجَ كلُّ قدرٍ له في قلوب الخلق من أجل إصلاحِ قلبه، ولا يحبُّ أن يطَّلعَ الناسُ على مثاقيل الذرِّ من [حسن][٧] عمله.

وسئل عن الأنس فقال: التوحُّشُ[٨] من الخلق.

---

(١) كذا في (خ) و(ف). وقول المحاسبي ـ كما في طبقات الصوفية ص٥٩، ومناقب الأبرار ١/ ١٦٧ ـ : صفة العبودية ألا ترى لنفسك ملكاً، وتعلم أنك لا تملك ضرًّا ولا نفعاً.

(٢) كذا، وفي طبقات الصوفية ص٥٩، ومناقب الأبرار ١/ ١٦٧: لكل شيء جوهر، وجوهر الإنسان العقل، وجوهر العقل الصبر، والعمل بحركات القلوب في مطالعات الغيوب أشرفُ من العمل بحركات الجوارح.

(٣) ما بين حاصرتين من مناقب الأبرار ١/ ١٦٧.

(٤) في حلية الأولياء ١٠/ ٨٠، ومناقب الأبرار ١/ ١٦٨: وما يكابد.

(٥) في حلية الأولياء ١٠/ ٨٠، ومناقب الأبرار ١/ ١٦٨: أنسى لهم عملا.

(٦) في (خ) و(ف): فغضبي. والمثبت من حلية الأولياء، ومناقب الأبرار.

(٧) ما بين حاصرتين من مناقب الأبرار ١/ ١٦٨.

(٨) في (خ) و(ف): المتوحش. والتصويب من حلية الأولياء ١٠/ ١٠٧، ومناقب الأبرار ١/ ١٧٠.

وصنَّفَ كتباً كثيرةً من الزهديات والإشارات وعلوم المعاملات، قال: ولما صنَّفتُ[١] كتاب المعرفة أعجبتُ به، فبينا أنا أنظرُ فيه يوماً متعجِّباً منه ومستحسِناً له، إذ دقَّ الباب داق، فقلت: من؟ فقال: فقير، فأذنتُ له، فدخل رجلٌ عليه ثيابٌ [رثَّة]، فقال: يا أبا عبد الله، المعرفةُ حقُّ الحقِّ في الخلق، [أو حقُّ][٢] الخلق على الحقِّ؟ [فقلت له: حقٌّ على الخلق للحقّ، فقال: هو أولى أن يكشفَها لمستحقِّها، فقلتُ: بل حقٌّ للخلق على الحق][٣] فقال: هو أعدل [من] أن يظلمَهم[٤] ثم قام وخرج، فأخذتُ الكتابَ فحرقته.

وقال إسماعيل بن إسحاق السراج: كان الإمامُ أحمد بن حنبل ينكر على الحارث كلامَهُ في علوم الصوفية، فقال لي يوماً: بلغني أنَّ الحارثَ يتردَّدُ إلى بيتك، فلو أحضرتَه مجلسَك وأجلستني من حيث لا يراني لأسمعَ كلامه، فقلت: نعم، فأجلستُه في مكانٍ بحيث لا يراه الحارث، وهو يرى الحارث، فجاء الحارثُ وأصحابُه فجلسوا، والإمام أحمد في غرفة، وقُدِّم إليه الطعام، فشرعَ الحارثُ يتحدَّث مع أصحابه، فقال أحمد: هذا من السُّنَّة، فلما فرغوا غسلُوا أيديَهم، وحضرت العتمة فصلَّوا، ثمَّ أمر الحارث قارئاً يقرأ آياتٍ من القرآن، فبكى الحاضرون، وقعدوا بين يدي الحارث كأنَّ الطير على رؤوسهم، وهم سكوت، فسألَه بعضُهم عن مسألةٍ، فأجاب عنها من الكتاب والسنَّة، وجعل بعضُهم يبكي، وبعضُهم يصيح، وبعضهم يئنُّ ويتأوه.

قال إسماعيل: فصعدتُ الغرفةَ لأتعرَّف أخبارَ الإمام أحمد بن حنبل، وإذا به يبكي وقد كاد أن يُغْشَى عليه، فقلت: كيف رأيتَ؟ فقال: ما أعلمُ أنِّي رأيت مثل هؤلاء القوم، ولا سمعت في علوم الحقائق مثل هذا الرجل، ولا أنكر من [هذا شَيئاً][٥]، ومع هذا فإنِّي لا أرى لك صحبتَهم[٦].

---

(١) في (خ) و(ف): صنف.

(٢) ما بين حاصرتين من مناقب الأبرار ١/ ١٦٩، والطبقات الكبرى للشعراني ص٦٤. ومكانها في (ف) بياض.

(٣) ما بين حاصرتين من مناقب الأبرار ١/ ١٦٩، والطبقات الكبرى ص٦٤.

(٤) بعدها في (خ) و(ف): لم يكشفها لمستحقيها!

(٥) في (خ) و(ف): بياض بمقدار كلمتين، واستدركتهما من طبقات الشافعية ٢/ ٢٧٩.

(٦) انظر تاريخ بغداد ٩/ ١٠٩-١١٠.

وقال الخطيب: كان أحمدُ ينكر على الحارث خوضَهُ في علوم الكلام، ويصدُّ الناس عنه[١].

وهجرَه أحمد فاختفَى في دارٍ ببغداد، فماتَ فيها ولم يصلِّ عليه إلَّا أربعة نفر[٢].

قال المصنِّف رحمه الله: وكان الذي ينكره الإمام أحمد عليه كلامَه في الأصول، أمَّا غيره من علوم الحقائق[٣]. والإمام أحمد رحمه الله ماتَ قبل الحارث بمدَّةٍ على ما ذكرنا.

وقال الحارث: جلستُ ليلةً في محرابي، فإذا بفتًى من أحسن الناس وجهاً، طيِّبِ الرائحة، فسلَّمَ عليَّ وقعدَ بين يديّ، فقلت: من أنت؟ فقال: واحدٌ من السائحين، أقصد المتعبدين في مَحاريبهم[٤]، ثم قال: ما أرى لك اجتهاد، فإيش عملك؟ فقلت: كتمانُ المصائب واجتلاب الفوائد، فصاح صيحةً عظيمةً وقال: ما أظنُّ أحداً بين جنبي المشرق والمغرب بهذه الصفة، فأردتُ أن أزيدَه فقلت: أما علمتَ أنَّ أربابَ الأحوال يتحمَّلون الأثقال ويكتمون الأسرار، فصاح صيحةً أخرى وغُشِيَ عليه، فلمَّا أفاق قام فدخل على المأمون، فقال: من أنت؟ فقال: رجلٌ من السياحين [فكرت فيما عمل الصدِّيقون قبلي][٥] فلم أر موعظةً أفضل من موعظة جبَّارٍ ظالم، وأنت والله ظالمٌ، وأنا ظالمٌ إن لم أقل لك: يا ظالم، فأمرَ به المأمونُ فقتل، قال: فبتُّ محزوناً عليه، فرأيتُه في المنام، فقلت: والله لمحزون عليك، فقال: والله يا حارث أتيت[٦] والله الكاتمين الذين يخفون أحوالَهم، ويكتمونَ أسرارهم، فقلت: وأين هم؟ قال: الساعة يتلقونك، وإذا بركبان، فقالوا: يا حارث، أمَّا السائحُ فقد بذل نفسَه لله في الجهاد، فأنزله الله معنا، وأما الذي قتلَه فقد غضبَ الله عليه.

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ١٠٩.

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١١٠.

(٣) كذا في (خ) و(ف)!؟

(٤) في (خ) و(ف): محارباتهم.

(٥) في (خ) و(ف) بياض بمقدار كلمتين، وما بين حاصرتين من مناقب الأبرار ١/ ١٧١، وانظر إحياء علوم الدين ٢/ ٣٥٥-٣٥٦.

(٦) في (خ): أثيب، والمثبت من (ف)، ومناقب الأبرار ١/ ١٧٢.

وأنشد قَوَّال بين يدي الحارث: [من مجزوء الرمل]

لم أكنْ يومَ خروجي ... من بلادي بمصيبِ
أنا في الغربةِ أبكي ... ما بكتْ عينُ غريبِ
عجبي لي ولتركي ... وطناً فيه حبيبي

فقام الحارثُ وبكى وتواجد حتى رحمَه كلُّ من حضر[١].

وكان الحارثُ ينشد: [من مجزوء الكامل]

الخوفُ أولَى بالمسـ ... ـءِ إذا تألَّه والحزنْ
والحبُّ يحسنُ بالتقيْـ ... ـيِ وبالنقيِّ من الدرنْ
والشوق للنجباء والـ ... أبدال عند ذوي الفِطَنْ[٢]

ذكر وفاته:

قد حكى الخطيب أنه ماتَ متخفِّيًا، والأصحُّ خلافُه. وقال [جعفر ابن أخي أبي ثور:][٣] حضرتُ وفاة الحارث ببغداد، فقال لنا: إن رأيتُ ما أحبُّ تبسَّمتُ إليكم، وإن لم أر ما أحبّ لم أتبسَّم، فلمَّا كان بعد ساعةٍ نظر إليه وتبسَّم.

حدَّثَ الحارثُ عن يزيد بن هارون وطبقته، وروى عنه أبو العباس بن مسروق الطُّوسيُّ وغيره.

وللحارث مصنَّفات في الزهد والأصول والديانات[٤]، والردِّ على المخالفين من المعتزلة والجهميَّة وأهل البدع، وكتبه كثيرةُ الفوائد، جمَّةُ المنافع.

ذكر أبو علي بن شاذان يوماً كتاب الحارث في الدِّماء فقال: على هذا الكتاب عَوَّل أصحابُنا في أمر الدماء[٥] التي جرت بين الصحابة.

[وفيها توفي]

---

(١) طبقات الصوفية ص٦٠، ومناقب الأبرار ١/ ١٦٧.

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١٠٦ .

(٣) في (ف): وقال ثور. وفي (خ) وقال... (بياض). والمثبت من تاريخ بغداد ٩/ ١١٠ .

(٤) كذا في (خ) و(ف). وفي تاريخ بغداد ٩/ ١٠٥ : وفي أصول الديانات.

(٥) في (خ) و(ف): في الدنيا. في الموضعين، وهو تصحيف. والتصويب من تاريخ بغداد.

الوليدُ بن شُجَاع

ابنِ الوليد بن قيس، أبو هَمَّام السَّكونيُّ، [الكوفيُّ الأصل، البغداديُّ الدار،] كان صالحاً عفيفاً ديِّناً ورعاً، توفِّي ببغداد.

[وروى أبو نُعيم الأصفهانيُّ عن أبي يحيى مُستملي الوليد قال:][(١)] رأيتُ أبا همَّام في المنام وعلى رأسه قناديل [معلَّقة]، فقلت: أبا همام، بم نلتَ هذه القناديل [المعلَّقة]؟ فقال: هذا بحديث الحوض، وهذا بحديثِ الشفاعة، وهذه بحديث كذا، وجعل يعدِّد.

سمعَ ابن المبارك وغيره، وروى عنه أبو حاتم الرازيّ، [وأبو القاسم البغويُّ، وعباس الدوريُّ، وغيرهم]، وكان عنده مئةُ ألف حديث عن الثقات، وكان ثقةً[(٢)].

[وفيها توفي]

هارونُ بن عبد الله بن مروان

أبو موسى البزَّاز، [المعروف بالحمَّال،] الحافظ.

قال [هارون:] جاءني الإمام أحمد رحمه الله [ليلاً] فدقَّ عليَّ الباب، فقلت: من [هذا]؟ فقال: أحمد، فبادرتُ إليه، فمسَّاني ومسَّيتُه، وقلت: هل من حاجةٍ يا أبا عبد الله؟ قال: نعم، شَغَلْتَ اليوم قلبي، قلت: بماذا؟ قال: جُزْتُ عليك اليوم وأنت قاعدٌ تحدِّثُ الناس في الفيء، والناسُ في الشمس بأيديهم الأقلامُ والدفاتر، لا تفعل هذا مرَّةً أخرى، إذا قعدتَ فاقعد مع الناس.

توفي في شوال ببغداد.

سمع سفيان بن عُيينة، [ورَوْح بن عُبادة، وسَيَّار بن حاتم، وغيرهم]، وأخرجَ عنه مسلم وغيره، وكان [حافظاً] صدوقاً ثقةً[(٣)].

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال أبو يحيى مستملي الوليد.

(٢) تاريخ بغداد ١٥/ ٦١٥-٦٢٠ ، والمنتظم ١١/ ٣٠٩-٣١٠ ، وتاريخ دمشق ١٧/ ٨٢٦-٨٣٠ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٣١/ ٢٢-٢٨، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٣-٢٤ . وما سلف بين حاصرتين من (ب).

(٣) تاريخ بغداد ١٦/ ٣١-٣٢ ، والمنتظم ١١/ ٣١٠، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٩٦-١٠٠، والسير ١٢/ ١١٥-١١٦.

[وفيها توفي]

هنَّادُ بن السَّرِيّ

[أبو السريّ،] الدارميُّ، الكوفيُّ، الزاهد، الحافظ، [الخائف]، كان يقال له: راهب الكوفة. وكان قد اعتزلَ النساء[١] واشتغل بالعبادة، فلم يتزوَّج ولم يتسرَّ.

[وذكره أبو عبد الله الحاكم، فروى عن أحمد بن سلمة قال:] كان [هنَّاد بن السريّ] كثيرَ البكاء، و[كان] إذا صلَّى الفجر جلسَ حتى تطلعَ الشمس يقرأ القرآن، فإذا ارتفعت الشمسُ صلَّى الضحى، ثمَّ خرجَ إلى منزله، فيتوضَّأ، ثمَّ يرجعُ إلى المسجد، فيصلِّي إلى الزوال، فإذا صلَّى الظهرَ صلَّى إلى العصر، فإذا صلَّى العصر قرأ القرآن وبكى إلى المغرب، ثمَّ يصلِّي العشاءَ الآخرة، ويقوم الليل، فأقام على هذا منذ سبعين سنة.

[وقال البخاريُّ:] مات [هنَّاد] يوم الأربعاء آخر [يوم من] ربيع الأول [في هذه السنة][٢].

سمع وكيعاً وطبقتَه، وروى عنه أبو حاتم الرازيّ وغيرُه، وكان [صدوقاً] ثقةً[٣].

يحيى بن أكْثَم

ابن محمد بن قَطَن بن سَمعان بن مُشَنِّج بن عبد عمرو بن عبد العُزّى بن أكثم بن صيفي المروزي التميميُّ الأسديّ[٤]، أبو عبد الله، وقيل: أبو زكريا [القاضي]. وقيل: [كنيته] أبو محمد. وكان ينكرُ أنْ تكونَ كنيتُه أبا زكريا، [فحكى الخطيبُ أنَّ رجلاً قال له:][٥] يا أبا زكريّا، فقال له يحيى: قِسْتَ فأخطأت[٦]، أشارَ إلى أنَّ يحيى ابنُ زكريا.

---

(١) في (خ) و(ف): الناس. والمثبت من (ب). وما سيأتي بين حاصرتين منها.

(٢) التاريخ الصغير ٢/ ٣٨٠.

(٣) انظر ترجمته في الجرح والتعديل ٩/ ١١٩، والمنتظم ١١/ ٣١٠-٣١١، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٣١١-٣١٣، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٦٥.

(٤) انظر تاريخ دمشق ١٨/ ٢٥ (مخطوط).

(٥) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): قال له رجل.

(٦) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٨٤.

[ذكر طرف من أخباره:

قال علماء السير:] ولي يحيى القضاءَ بالبصرة وبغداد والكوفة وسَامرَّاء، وكان عالماً فاضلاً [فطناً]، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام، ذا فنون من العلوم، عرف المأمونُ فضلَه، فلم يتقدَّمه عندَه أحد، فقلَّده القضاءَ، وتدبيرَ أمر المملكة، وكانت الوزراءُ لا تعملُ شيئاً في تدبير الملك إلَّا عن رأيه وبعد مطالعته، [ولم يغلب أحد على سلطانه في زمانه إلا يحيى وابنُ أبي دؤاد.][(١)]

وقال الخطيب[(٢)]: كان أحدَ أعلام الدنيا، ومن اشتُهِرَ أمرُه، وعُرِف خبرُه، ولم يستتر عن الكبير والصغير من الناس فضلُه وعلمُه، ورياستُه وسياستُه لأمره وأمرِ الخلفاء والملوك، واسعُ العلم والفقه، كثيرُ الأدب، حسنُ العارضة، قائمٌ بكلِّ مفضلة[(٣)]، أخذ بمجامع قلب المأمون، ففوَّضَ إليه أمرَ مملكتِه.

ولما ولَّاه قضاءَ البصرة وخرج إليها، تلقَّاه أهلُها، وكان صغيراً فاحتقروه، فقالوا: كم سنُّ القاضي؟ قال: سن[(٤)] عَتَّاب بن أَسِيد[(٥)] لمَّا ولَّاه رسولُ الله ﷺ مكَّة، وأنا أكبر من مُعاذ لمَّا بعثه رسولُ الله ﷺ إلى اليمن، وأنا أكبرُ من كعب بن سُور لما بعثه عمر بن الخطاب رضوان الله عنه قاضياً. وقيل: سنُّه دونَ العشرين سنة، فأقامَ سنةً لا يقبلُ بها شاهداً، فتعطَّلت الأمور، فقيل له في ذلك، فأجازَ في يومٍ شهادةَ سبعين شاهداً.

قال[(٦)] عليُّ بن المديني: خرجَ سفيان بن عيينة إلى أصحاب الحديث وهو ضَجِر، فقال: أليس من الشقاء أنْ أكونَ جالستُ ضَمْرة بن سعيد، وجالس ضمرةُ أبا سعيدٍ الخدريّ، وجالست ابن دينار، وجالسَ ابنَ عُمر، وجالستُ الزهريَّ، وجالس الزهريُّ

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) رواه الخطيب في تاريخه ١٦/ ٢٨٩ عن التنوخي عن طلحة بن محمد بن جعفر.

(٣) في تاريخ بغداد ١٦/ ٢٨٩ : معضلة. ومن قوله: وقال الخطيب... إلى هنا ليس في (ب).

(٤) في (ف) : تلقاه أهلها، فقال له بعض الناس: كم سنُّ القاضي ـ وكان صغيراً ـ ففهم مراده، فقال: سني سن...

(٥) في تاريخ بغداد ١٦/ ٢٩١ : أكبر من عتاب بن أسيد.

(٦) في (خ) و(ف) : فقال.

أنس بن مالك، وعدَّدَ جماعةً، ثم قال: وأنا أجالسُكم! فقال: والله لشقاءُ من جالسَ أصحابَ رسول الله ﷺ أشدُّ من شقائك، فأطرقَ سفيان وتمثَّل: [من مجزوء الرمل]

خـــلِّ جـــنـــبـــيـــكَ لـــرام ... وامـــضِ عـــنـــهـــم بـــســـلام
مُـــتْ بـــداءِ الـــصـــمـــتِ خـــيـــرٌ ... لـــكَ مـــن داءِ الـــكـــلام[1]

ثم قال سفيان: من الحَدَث؟ قال: يحيى بن أكثم، فقال سفيان: هذا الغلامُ يصلحُ لصحبة هؤلاء، يعني السلطان[2].

وقال محمد بن منصور وأحمد بن أبي دؤاد: كنَّا مع المأمون في طريق الشام، فأمرَ فنودِيَ بتحليلِ المتعة، فقال لنا يحيى بن أكثم: تدخلا غداً عليه، فإنْ رأيتُما للقول وجهاً فقولا، وإلَّا فاسكتا إلى أنْ أدخل، فدخلا عليه وهو مغتاظٌ يقول: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكرٍ[3]، وأنا أنهى عنهما، ومن أنت يا أحول حتى تنهَى عمَّا فعله رسول الله ﷺ ؟ قال: فأمسكنا، وجاء يحيى، فجلس وجلسنا، فقال المأمون ليحيى: مالي أراك متغيِّراً؟ قال: لما حدثَ في الإسلام، قال: وما حدث؟ قال: النداء بتحليل الزِّنا، [قال: الزنا؟!][4] قال: نعم، المتعَة زنا، قال: ومن أين لك هذا؟ قال: من كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ يا أمير المؤمنين زوجةُ المتعة مِلكُ يمين؟ قال: لا، قال: فهي الزوجة التي عنى الله، ترثُ وتُورث، ويلحقُ بها الولد، ولها شرائطها؟ قال: [لا، قال:] فقد صار متجاوزُ هذين من العادين، وهذا الزهريُّ رَوى عن عبد الله والحسن[5] ابني محمد ابن الحنفية، عن أبيهما، عن أبيه عليِّ بن أبي طالب أنَّه قال: أمرَني رسولُ الله ﷺ أن أناديَ بالنهي عن المتعة وتحريمها، بعد أن كان

(١) البيتان لأبي نواس. ديوانه ص٥٨٧.

(٢) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٨٣-٢٨٤.

(٣) بعدها في (خ) و(ف): وعمر. وهي خطأ، كما يدل عليه سياق الخبر، وكلامه التالي تعريض بسيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه. انظر تاريخ بغداد ١٦/ ٢٩١-٢٩٢.

(٤) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد.

(٥) في (خ) و(ف) والمنتظم ١١/ ٣١٥: عبيد الله والحسين. وهو خطأ.

أمرَ بها، فالتفتَ إلينا المأمون وقال: أمحفوظٌ هذا من حديث الزُّهريّ، قلنا: نعم يا أمير المؤمنين، رواه جماعةٌ منهم مالكُ بن أنس، فقال المأمون: أستغفر الله، نادوا بتحريم المتعة.

قال الصُّوليُّ: فسمعتُ إسماعيل بن إسحاق ـ وقد ذُكر يحيى بن أكثم فعظَّم أمره ـ قال: وكان له يومٌ في الإسلام لم يكن لأحدٍ مثله، وذكر هذا اليوم، فقال له رجل: فما كان يقال؟ فقال: معاذَ الله أن تزولَ عدالةُ مثله بكذب باغٍ أو حاسد[١].

وقال أبو العيناء: لمَّا قال له يحيى: المتعة زنا، قال: يا يحيى حديثُ المتعة رواه الربيعُ بن سَبْرة، وهو أعرابيٌّ يبولُ على عقبيه، فلا أقول به، فقال له يحيى: فهذا حديثٌ آخر، قال: وما هو؟ قال: حدثني القعنبيُّ، قال: ثقةٌ عمن؟ قال: عن مالك بن أنس، قال: ثقةٌ عمَّن؟ قال: عن الزهريّ، قال: ثقةٌ، ولكنه كان عاملاً لبني أمية، عمَّن؟ قال: عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية، فقال المأمون: كان أحدهما يقولُ بالوعيد، يعني الحسين، و[الآخر ب][٢] الإرجاء، هيه عمَّن؟ قال: عن أبيهما محمد، قال المأمون: أكرم به، عمَّن؟ قال: عن أبيه أمير المؤمنين عليّ رضوان الله عليه، قال: أهلاً به، عمَّن؟ قال: عن رسول الله ﷺ، فقال: نادُوا بتحريمها[٣].

[ذكر أخبار من سيرة ابن أكثم متفرقة:

حكى الخطيب عنه أنه كان سليماً من البدعة ينتحل مذهب أهل السنة][٤]، وكان يقول: من قال: [إنَّ] القرآن مخلوق ضربت عنقه[٥].

[وذكره ابن عساكر فقال: قدم يحيى دمشق مع المأمون، وجلس في جامعها.

وقال الصوليُّ: دخل عليه رجلٌ في مجلسه فأنشدَه: [من البسيط]

مـاذا تـقـولُ كَـلَاكَ الله فـي رجـلٍ يـهـوى عـجـوزاً أُراهـا بـنـت تـسـعـينِ

(١) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٩١-٢٩٣، وتاريخ دمشق ١٨/ ٢٩-٣٠ (مخطوط).

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) من قوله: ولما ولاه قضاء البصرة ... إلى هنا. ليس في (ب).

(٤) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وكان يحيى سليماً من أهل السنة، سليماً من البدعة.

(٥) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٩٠.

قال: فأطرق ساعةً ثم رفع رأسَه فقال:

يُبكى عليه وقد حقَّ البكاء له ... إنَّ العجوزَ لها حينٌ من الحينِ][1]

وقدم دمشق ومصر، ويعدُّ من فقهاء خراسان، وكتبُه في الفقه أجلُّ كتب، وإنَّما تُرِكت لطولها.

وقال: اختصمَ إليَّ[2] في جامع الرصافة الجدُّ الخامس يطلبُ ابن ابن ابن ابن ابنه.

وكان قاضياً وزيراً ومشيراً، وكان يقول: ما طرقَ سمعي ألذُّ من قول المستملي: من ذكرتَ رضي الله عنك؟[3]

وقال ابن عساكر: كان [يحيى بن أكثم][4] أعور.

وقال الخطيب: كتب إلى صديق له: [من الطويل]

جفوتَ وما فيما مضَى كنت تفعلُ ... وأغفلتَ من لم تُلْفِه عنك يغفلُ
وعجَّلتَ قطعَ الوصل في ذاتِ بيننا ... بلا حَدَثٍ أو[5] كدتَ في ذاك تعجلُ
فأصبحتُ لولا أنَّني ذو تعطُّفٍ ... عليكَ بودِّي صابرٌ متجمِّلُ[6]
أرى جفوةً أو قسوةً من أخي ندى ... إلى الله منها المُشتكى والمعوَّلُ
وأقسمُ لولا أنَّ حقَّك واجبٌ ... عليَّ وأنِّي بالوفاءِ موكَّلُ
لكنتُ عَزوفَ النفسِ عن كل مُدْبرٍ ... وبعضُ عزوفِ النفس عن ذاك أجملُ
ولكنَّني أرعى الحقوقَ وأستحي ... وأحملُ من ذي الودِّ ما ليس يحملُ
فإنَّ مصابَ المرء في أهل ودِّه ... بلاءٌ عظيمٌ عند من كان يعقلُ

وكان ليحيى أخٌ اسمُه عبد الله بن أكثم زاهداً، لمَّا ولي يحيى القضاء وداخل الخلفاء، كتب إليه أخوه: [من البسيط]

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وانظر الخبر في تاريخ بغداد ١٦/ ٢٨٥.

(٢) بعدها في (خ) و(ف): رجلان. ولا معنى لها. انظر تاريخ بغداد ١٦/ ٢٨٨.

(٣) من قوله: وقدم دمشق ومصر... إلى هنا. ليس في (ب).

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) في (خ) و(ف): إذ. والمثبت من تاريخ بغداد ١٦/ ٢٨٥.

(٦) في (خ) وتاريخ بغداد: متحمِّلُ.

ولـقـمـةٍ بـجـريـش الـمـلـحِ آكـلُـهـا ألـذُّ مـن تـمـرةٍ تـحـشَـى بـزُنْـبُـورِ
كـم لـقـمـةٍ جلبت حتفاً لـصـاحـبـهـا كـحـبـةِ الـقـمـح دقَّت عـنـق عـصـفـورِ[١]

[وكان يحيى انحرفَ عنه المأمون][٢] وأبعده، فولَّاه البصرة، ولما ولي المعتصم قرَّبَهُ، وكذا الواثق، ولما ولي المتوكِّلُ صيَّره في مرتبة ابن أبي دؤاد، وخَلع عليه خلعاً كثيرة، وقرَّبه، ثمَّ غضب عليه [المتوكل]، فعزله عن القضاء [بجعفر بن عبد الواحد]، واستصفى أموالَه، ثمَّ أمرَه بالانتقال إلى بغداد، وألزمَه بيتَه إلى أن مات [في هذه السنة بالرَّبَذَة].

[ذكر وفاته:

حكى الخطيب عن داود بن عليّ قال: خرج ابن أكثم][٣] إلى الحجِّ في سنة اثنتين وأربعين على عزم المجاورة بمكة، فبلغه [رجوع المتوكِّل عن القول بخلق القرآن، وأنه] قد صلح قلبه، [فبدا] له [من المجاورة]، فعاد[٤] إلى المدينة، ثمَّ رجع يريدُ العراق، فمات بالرَّبَذة [في سنة ثلاث وأربعين ومئتين][٥]، وقبرُه بها إلى جانب أبي ذر رضي الله عنه، وهو ابن ثلاث وثمانين سنة، رحمه الله[٦].

[ذكر المنام الذي رؤي له:

رواه الخطيب بإسناده إلى محمد بن عبد الرحمن الصيرفيّ قال:] رأى جارٌ لنا يحيى بنَ أكثم في منامه بعد موته، فقال له: ما فعلَ الله بك؟ قال: وقفتُ بين يديه فقال: سوءةٌ لك يا شيخ، فقلت: يا رب إن رسولَك قال: «إنَّك لتستحيي أنْ تعذِّبَ أبناءَ الثمانين» وأنا ابنُ ثمانين، أسيرُك في الأرض، فقال: صدقَ رسولي، قد عفوت عنك[٧].

---

(١) من قوله: وقال الخطيب: كتب . . . إلى هنا. ليس في (ب)، والبيت الثاني كما في تاريخ دمشق ١٨/ ٣١ (مخطوط):

وأكـلـةٍ قـربـت لـلـهـلـك صـاحـبـهـا كـحـبـة الـفـخِّ دَقَّـتْ عـنـقَ عـصـفـورِ

(٢) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وكان المأمون انحرف عنه.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وكان خرج إلى الحج...

(٤) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): فبلغه أن المتوكل قد صلح قلبه له فعاد...

(٥) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): هذه السنة.

(٦) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٩٥-٢٩٦.

(٧) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٩٦.

ورَوى الخطيبُ بإسناده إلى محمد بن سَلْم[١] الخوَّاص بمعناه، وفيه: فقال الله تعالى: يا شيخ السوء، لولا شيبتُك لأحرقتُك بالنار، قال: فأخذني ما يأخذ العبدَ بين يدي مولاه، فلما أفقتُ كرَّرها الله تعالى ثلاثاً، فقلت: يا رب، ما هكذا حُدِّثتُ عنك، فقال الله تعالى: وما حدثت عنِّي؟ وهو أعلم بذلك. فقلت: حدَّثني عبد الرزاق بن همَّام، عن مَعْمَر بن راشد، عن ابن شهاب الزُّهريّ، عن أنس بن مالك، عن نبيِّكَ ﷺ، عن جبريل، عنك يا عظيم أنَّك قلت: ما شابَ لي عبدٌ في الإسلام شيبةً إلَّا استحييتُ منه أن أعذِّبه بالنار، قال الله تعالى: صدقَ عبدُ الرزاق، وصدق معمر، وصدق الزهريُّ، وصدق أنس، وصدق نبيي، وصدق جبريل، أنا قلت ذلك، انطلقوا به إلى الجنَّة[٢].

أسند يحيى [الحديث] عن [خلقٍ كثير منهم] سفيان بن عُيينة، وأبو معاوية الضَّرير، وعبد الرزاق، [والدَّرَاوردي، وعبدُ الله بن إدريس، وغيرهم][٣].

وروى عنه عليُّ بن المديني، والبخاريُّ[٤]، والترمذيُّ، والأئمَّة.

ومن رواياته عن ابن عباس قال: أوَّل ما خلق الله القلم، فأمرَه أن يكتب ما هو كائنٌ، فكتب: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾[٥].

وقد تكلَّموا فيه من حيث الرواية والديانة؛ أمَّا من حيث الرواية فرماهُ ابنُ معين وغيرُه بالكذب، وقال أبو الفتح الأزديّ: رَوى عن الثقات عجائب لا يتابعُ عليها.

وأمَّا من حيثُ الديانة فقد أكثروا القولَ بميله إلى المُرْد[٦]، [وقال الخطيب: و] سببُ عزلِه عن القضاء أنَّه دخل عليه ابنا مسعدة، وكانا في غاية الجمال، فأقعدَهما بين

---

(١) في (خ) و(ف): سالم. وفي (ب): أسلم. والتصويب من تاريخ بغداد ١٦/ ٢٩٦.

(٢) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٩٦.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): أسند يحيى عن سفيان بن عيينة، وأبي معاوية الضرير، وعبد الرزاق، وخلقٍ كثير.

(٤) في غير الصحيح. انظر سير أعلام النبلاء ١٢/ ٦.

(٥) لم أقف عليه من رواية يحيى بن أكثم، وذكره الخطيب في تاريخ بغداد ١٦/ ٢٩٩ في ترجمة يحيى بن واقد من روايته، والله أعلم.

(٦) من قوله: وقد تكلموا فيه من حيث . . . إلى هنا ليس في (ب).

يديه وقال: [من مخلع البسيط]

يـا زائِـرَيْـنَـا مـن الـخِـيـام حـيـاكـم الله بـالـسَّـلامِ
لـم تـأتـيـانـي وبـي نـهـوضٌ إلـى حـلالٍ ولا حـرام
يـحـزنـنـي أن وقـفـتُـمـا بـي ولـيـس عـنـدي سِـوى الـكَـلامِ[١]

[وكذا قال ابن الأنباريّ أنَّ سببَ عزله عن الحكم إنشاءُ هذا الشعر][٢].

قال أبو العيناء: تولَّى يحيى ديوانَ الصَّدقات على الأضِرَّاء، فلم يعطِهم شيئاً، فطالبوه وألحوُّا عليه، ووقفوا له وقد خرجَ من جامع الرُّصافة، فقال: مالكم عندَ أمير المؤمنين شيء، فقالوا: لا تفعل يا أبا سعيد[٣]، فأمرَ بحبسهم، فحُبِسوا، فلمَّا كان في الليل ضجُّوا، فسمعَهم المأمون، فقال: ما هذا؟ قالوا: الأضِرَّاء حبسَهم يحيى بنُ أكثم، فقال: ولم؟ قالوا: كَنَّوه، فدعاه وقال: حبستَهم على أن كَنَّوك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّما حبستُهم على التعريض، كنوني بشيخٍ لائطٍ في الخريبة[٤]، فضحكَ المأمون وأطلقَهم[٥].

[وروى الخطيبُ بإسناده إلى أحمد بن يعقوب قال: كان يحيى يحسدُ حَسداً شديداً] وكان يحيى مُفْتَنًّا، إذا دخلَ عليه فقيهٌ سألَه عن الحديث، وإذا دخلَ عليه محدِّثٌ سأله عن الفقه، وإذا كان يحفظُ النحو سألَه عن الكلام، فيقطعه ويخجله، فدخلَ عليه رجلٌ من أهل خراسان [حافظٌ]، فناظرَه فرآه مُفْتَنًّا، فقال له: نظرتَ في الحديث؟ قال: نعم، قال: فما تحفظُ منه؟ قال: [أحفظ] عن شَرِيك، عن أبي إسحاق، عن الحارث أنَّ عليًّا رضي الله عنه رَجم لوطيًّا، فسكت ولم يكلِّمه[٦].

وقال الحسن بن المقدام: استعدى ابنُ عمار بن أبي الخصيب عند ابن أكثم على

(١) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٨٧ .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٣) في (خ) و(ف) : يا أمير المؤمنين. وهو خطأ. والتصويب من تاريخ بغداد ١٦/ ٢٨٦ .
(٤) في تاريخ ابن عساكر ١٨/ ٣٦ ، وسير أعلام النبلاء: الحربية. وهي في (خ) و(ف) بدون نقط.
(٥) من قوله: قال أبو العيناء . . . إلى هنا ليس في (ب).
(٦) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٨٦ . وما سلف بين حاصرتين من (ب) .

ورثة أبيه، قال: أيُّها القاضي، أعدني عليهم، فقال له: فمن يعديني على عينيك، فهربت به أمُّه إلى بغداد، فقال لها وقد تقدَّمت إليه: والله لا أنفذتُ لكم حكماً، أو تَرُديِّه، فإنَّه أولى بالمطالبة منك[١].

[وذكر جدِّي في «المنتظم» عن أحمد بن يونس الضبي قال:][٢] كان زيدان الكاتب يكتبُ بين يدي يحيى بن أكثم، وكان جميلاً متناهيَ الجمال، فقرص يحيى خدَّه [يوماً]، فخجلَ [واستحى، وطرح القلمَ من يده]، فقال له: اكتب ما أملي عليك، [ثمَّ قال:] [من الطويل]

إذا كنتَ للتجميش والعشقِ كارهاً ... فكنْ أبداً يا سيِّدي متنقِّبَا
ولا تظهر الأصداغَ للنَّاس فتنةً ... وتجعل منها فوقَ خدَّيكَ عقربَا
فتقتلَ مشتاقاً وتفتنَ ناسكاً ... وتتركَ قاضي المسلمينَ معذَّبَا[٣]

وفيه يقول أحمد بن أبي نعيم: [من الطويل]

وكنا نرجِّي أن نَرى العدلَ ظاهراً ... فأعقبنَا بعد الرجاءِ قنوطُ
وهل تصلحُ الدُّنيا ويَصلحُ أهلها ... وقاضي قضاةِ المسلمين يلوطُ[٤]

[وقال الخرائطي: حدثنا فَضْلَك بن العباس الرازي قال:][٥] مضيت إلى يحيى [بن أكثم] مع داود بن علي الأصبهاني الظاهري، ومعنا مسائل نلقيها عليه، فألقينَا عليه البعض، وهو يجيب بأحسن جواب، فدخل عليه غلامٌ أمرد، فلمَّا رآه خلَّط في الجواب، ولم يدرِ ما يقول، فقال لي داود: قم بنا، فإنَّ الرجلَ قد اختلط[٦].

وقال العتابي: إنَّ عبادةَ المخنَّث سأله بحضرة المأمون فقال: أشتهي من سيِّدنا

---

(١) من قوله: وقال الحسن بن المقدام . . . إلى هنا ليس في (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال أحمد بن يوسف الضبي.

(٣) المنتظم ١١/ ٣١٨-٣١٩، وتاريخ دمشق ١٦/ ٣٧.

(٤) نسبهما أبو الفرج في الأغاني ٢٠/ ٢٥٥ لإبراهيم بن أبي محمد اليزيدي، وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان ٦/ ١٥٥: وهذان البيتان لأبي حكيمة راشد بن إسحاق الكاتب. ومن قوله: وفيه يقول أحمد . . . إلى هنا ليس في (ب).

(٥) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال فضل بن العباس الرازي.

(٦) اعتلال القلوب ص١٣٩. وما سلف بين حاصرتين من (ب).

القاضي أن يعرِّفَنا فضائلَ[١] الصلب، فخجلَ يحيى وقام، فعزلَه المأمون عن القضاء، وولَّاه قضاء البصرة والكوفة؛ ليبعده عنه.

وقال أبو العيناء: كنتُ في مجلس أبي عاصم النَّبيل، وفيه أبو بكر بن يحيى بن أكثم، فنازعَ أبو بكر غلاماً أمرد، فقال أبو عاصم: إن يسرق فقدْ سرقَ أبٌ له من قبل[٢].

وقال ابن عبد ربه صاحب «العقد»: تعامل[٣] المأمون وعبد الله بنُ طاهر على يحيى حتى يسكروه، فغمز المأمون الساقي [فأسكره]، وكان بين أيديهم ردمٌ[٤] من الورد والرياحين، فشقُّوا له فيه لحداً، وصيَّروه فيه، وأمر المأمون قينةً فغنَّته [هذه الأبيات:] [من البسيط]

ناديتُه وهو حيٌّ لا حَراكَ به ... مكفناً في ثيابٍ من رياحينِ
فقلت قم قال رجلي ما تطاوعُني ... فقلتُ خذ قال كفِّي ما يواتيني

فانتبهَ يحيى على صوت العود ونغمة الجارية[٥]، فقال مجيباً لها [هذه الأبيات:] [من البسيط]

يا سيِّدي وأميرَ الناس كلِّهم ... قد جارَ في حُكمه من كان يَسقينِي
إنِّي غفلتُ عن الساقي فصيَّرني ... كما تراني سليبَ العقلِ والدينِ[٦]
لا أستطيعُ نهوضاً قد وَهى بدني ... ولا أجيبُ المنادِي حين يدعونِي
كأنَّني ميِّتٌ صُيِّرت[٧] في جدثٍ ... وسطَ الرياضِ دفيناً في الرياحين[٨]

قال المصنِّف رحمه الله: وهذه من هَنَاتِ صاحب العقد، فإنَّ ابنَ أكثم ما كان يعاشرُ المأمونَ إلَّا على الصلاح والديانة، وقد رأى المأمونُ غلاماً حدثاً فقال: ما تقولُ يا

(١) في (ب): فرائض.
(٢) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٨٨-٢٨٩. ولم يرد الخبر في (ب).
(٣) كذا في (خ) و(ف) و(ب). وفي العقد الفريد ٦/ ٣٤٥: تغامز.
(٤) في العقد الفريد: رِزَم.
(٥) من قوله: فانتبه ... إلى هنا ليس في (ب).
(٦) في (خ) و(ف): لا الدين. والمثبت من (ب) والعقد الفريد.
(٧) في (ب): قد صرت.
(٨) البيت الأخير ليس في العقد الفريد.

يحيى في مُحْرِمٍ صاد ظبياً؟ فقال: يا أمير المؤمنين يقبحُ بك إمام المسلمين، وبي وأنا قاضٍ تقولُ في هذا، فغضب وقال: من الذي يقول: [من المنسرح]

قاضٍ يرى الحدَّ في الزناء ولا [يرى] على من يلوطُ من باس؟

فقال يحيى: وما تعرف من قاله! الفاجر أحمد بن أبي نُعيم الذي يقول: [من المنسرح]

لا أحسبُ الجورَ ينقضي وعلى الـ أُمَّة والٍ من آل عباسِ[١]

[قلت:] وقد كان الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه يُنكِرُ ما قيل عن يحيى من نبزه بالمُرْدِ، [فذكر الخطيب عن عبد الله ابن الإمام أحمد قال:][٢] ذُكِر يحيى عند أبي فقال: ما عرفتُ فيه بدعةً قط. وذكر ما يرميه الناسُ به، فقال: سبحان الله، من يقول هذا؟ وبلغ يحيى فقال: جزاه الله خيراً والله ما عَرفَ فيَّ بدعةً قطّ[٣].

[وكذا روى ابنُ عساكر عن إسماعيل بن إسحاق قال: كان يحيى] أبرأ[٤] إلى الله ممَّا كان يُرمى به[٥] من أمرِ الغلمان، وإنَّما كانت فيه دعابةٌ، كان يهزلُ مع صديقه ومع عدوِّه.

[حكاية الزاغ:

ذكرها الحافظ ابن عساكر بإسناده عن المعافى بن زكريا، عن محمد بن مسلم السعديّ قال:][٦] دخلتُ على يحيى بن أكثم، وإذا عن يمينه قِمَطْرةٌ مجلَّدةٌ، ففتحها، وإذا قد خرجَ منها رأسُ إنسان، وهو من سرَّته إلى أسفل خلقة[٧] زاغ، وفي صدره وظهره سلعتان[٨]، فكبَّرتُ وهلَّلتُ [وفزعت، ويحيى يضحك،] فقال بلسان فصيح

(١) انظر تاريخ دمشق ١٨/ ٣٥. ومن قوله: قال المصنف . . . إلى هنا ليس في (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): فقال عبد الله ابن الإمام أحمد.

(٣) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٩٠.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال إسماعيل بن إسحاق: أبرأ. . .

(٥) بعدها في (خ) و(ف): يحيى. والمثبت من (ب). وما بين حاصرتين منها. وانظر تاريخ دمشق ١٨/ ٣٨.

(٦) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال محمد بن مسلم.

(٧) في (ب): إلى ركبته أسفله خلقة.

(٨) فسر الذهبي السلعة بالحَدْبة. سير أعلام النبلاء ١٢/ ١١.

[طلق:][1] [من الهزج]

أنـــا الـــزاغُ أبـــو عـــجـــوة ... أنـــا ابـــن الـــلـــيـــثِ والـــلـــبـــوَهْ
أحـــبُّ الـــراحَ والـــريـــحـــا ... نَ والـــنـــشـــوةَ والـــقـــهـــوهْ
فـــلا عـــربـــدتـــي تُـــخـــشـــى ... ولا تُـــرْهـــبُ لـــي سَـــطـــوهْ
ولـــي أشـــيـــاء تُـــسْـــتَـــظْـــرَ ... ف يـــومَ الـــعـــرس[2] والـــدعـــوهْ
فـــمـــنـــهـــا سِـــلـــعـــةٌ فـــي الـــظـــهـــ ... ـرِ لا تـــســـتـــرُهـــا الـــفَـــروهْ
وأمَّـــا الـــسِّـــلـــعـــةُ الأخـــرى ... فـــلـــو كـــان لـــهـــا عُـــروهْ[3]
لـــمـــا شـــكَّ جـــمـــيـــعُ الـــنـــا ... س فـــيـــهـــا أنـــهـــا ركـــوهْ[4]

ثم قال [الزاغ:] يا كهل أنشد شعراً غزلاً، [فقال لي يحيى: قد أنشدَكَ، فأنشِدْهُ:] فأنشدته [هذين البيتين:]

أغـرَّكِ أن أذنـبـتِ ثـم تـتـابـعـت ... ذنـوبٌ فـلـم أهـجـركِ ثـم ذنـوبُ[5]
وأكـثـرتِ حـتـى قـلـتِ لـيسَ بـصـارمـي ... وقـد يُـصـرَمُ الإنـسـانُ وهـو حـبـيـبُ

فصاح: زاغ زاغ زاغ، ثمَّ سقط في القِمَطْر، فقلت ليحيى: أعزَّك الله وعاشقٌ أيضاً؟! فقال: هو ما ترى، فقلت: ما هذا؟ قال: وجَّه به صاحبُ اليمن إلى أمير المؤمنين، وما رآه بعد.

والزَّاغ حيوانٌ من جنس النسانيس الذي باليمن، [انتهت ترجمته].

[وفيها توفي]

يعقوب بن إسحاق السِّكِّيت

أبو يوسف اللغوي، صاحبُ «إصلاح المنطق»، وكتاب «الألفاظ»، و«معاني الشعر»،

---

(١) في تاريخ دمشق ١٨/ ٣٩ : ذلق. والمثبت بين حاصرتين من (ب).
(٢) في (خ) و(ف) : العيد. والمثبت من (ب).
(٣) في (خ) و(ف) : فروه. والمثبت من (ب).
(٤) في (خ) و(ف) : في أنها ركوة. وفي (ب) : أنها تشبه الركوة. والمثبت من تاريخ دمشق.
(٥) كذا في (خ) و(ف) وتاريخ دمشق. وفي (ب)، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٢، والنجوم الزاهرة ٢/ ٣١٧ : أتوب.

و«القلب والإبدال» وغير ذلك.

[وحكى الخطيب عن الفرَّاء أنَّه قال:][(١)] سألتُه عن نسبه فقال: حُوْزِيُّ الأصل من كور الأهواز[(٢)]. إلَّا أنَّه بغداديُّ الدار، وكان يؤدِّبُ مع أبيه بمدينة السلام في درب القَنْطرة صبيانَ العامَّة، حتى احتاج إلى الكسب، فتعلَّم النحو، ولم يكن نفاذُه فيه كنفاذه في اللغة.

[قال:][(٣)] وحكيَ عن أبيه أنَّه حجَّ فطافَ بالبيت، وسألَ الله تعالى أن يتعلَّم ابنُه النحوَ، [فتَعلَّم النَّحوَ][(٤)] واللغة، [قال: فاحتاج] محمدُ بن عبد الله بن طاهر إلى رجلٍ يعلِّم ولدَه، فأخذَ يعقوب، فجعل له ألفَ درهم كلَّ شهر، [وكان يعقوب قد خرج قبل ذلك][(٥)] إلى سامرَّاء في أيَّام المتوكِّل، فصيَّره عبيد الله بن [يحيى بن][(٦)] خاقان عند المتوكِّل، [فضمَّ إليه ولده][(٧)]، وأسنى له الرزق.

وقال أبو الحسن الطوسيّ: كنَّا في مجلس اللِّحيانيّ، فقال: العربُ تقول: مُثْقَلٌ استعانَ بذَقَنه، فقام ابن السكِّيت ـ وهو حدثٌ ـ فقال: يا أبا الحسن[(٨)] إنَّما هو مُثْقَلٌ استعانَ بدَفَّيه، بالفاء، يريدون الجملَ إذا نهض بالحِمْل استعان بجنبيه، فقطع اللِّحيانيُّ الإملاءَ، فلمَّا كان في المجلس الثاني قال اللِّحيانيّ: العربُ تقول: هو جاري مكاشري، بالشين المعجمة، فقام ابن السكِّيت فقال: أعزَّك الله، إنما هو مُكَاسِري، بالسين المهملة، أي: كِسْرُ بيته إلى بيتي، أي: جانبه، فقطع اللِّحياني الإملاءَ، فما أملى بعد ذلك شيئاً.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): قال الفراء.

(٢) تاريخ بغداد ١٦/ ٣٩٨.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) قوله: فتعلم النحو. من تاريخ بغداد ١٦/ ٣٩٨.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وخرج يعقوب بعد ذلك.

(٦) ما بين حاصرتين من (ب).

(٧) قوله: يحيى بن. من تاريخ بغداد.

(٨) في (خ) و(ف) والمنتظم ١١/ ٣١٢: يا أبا الحسين. والمثبت من تاريخ بغداد ١٦/ ٣٩٨، وانظر ترجمة اللحياني في إنباه الرواة ٢/ ٢٥٥، ومعجم الأدباء ١٤/ ١٠٦.

وقال الصوليُّ[١]: أنشد ابن السكيت، وهما له: [من الخفيف]

ومن الناس من يحبُّك حبًّا ظاهرَ الحبِّ ليسَ بالتقصيرِ
فإذا ما سألتَه عُشْر فلسٍ ألحقَ الحُبَّ باللَّطيفِ الخبيرِ

وحَكى ابنُ السكِّيت أنَّ محمد بن [عبد الله بن][٢] طاهر عزمَ على الحجِّ، فخرجت إليه جاريةٌ فبكت لمَّا رأت آلة السفر، فقال محمد بن [عبد الله بن] طاهر: [من مجزوء الرمل]

دمعةٌ كاللؤلؤ الرَّطـ ـب على خدٍ أسيلِ
هطلتْ في ساعةِ البَيـ ـنِ من الطَّرف الكحيلِ

فقال لها: أجيزي فقالت:

حينَ همَّ القمر البا هرُ عنَّا بالأُفولِ
إنَّما يفتضح العا شقُ في وقتِ الرحيلِ[٣]

[وقال الحافظُ ابن عساكر: قدم دمشقَ مع المتوكِّل، وكان يؤدِّبُ أولاده.][٤]

وكان المبرِّدُ يقول: ما رأيتُ للبغداديين كتاباً أحسن[٥] من [كتاب] «إصلاح المنطق» لابن السِّكِّيت.

[وقال ثعلب: ما عرفنا خَرْبَةً[٦] قطّ، أي: زلَّةً، والخاربُ: سارقُ الإبل ليلاً.][٧]

[ذكر] سبب وفاته:

قال أحمد بن عبيد[٨]: شاورني ابن السكِّيت في منادمة المتوكِّل، فنهيتُه عنه، فحملَه

(١) في تاريخ بغداد ١٦/ ٣٩٩، وإنباه الرواة ٤/ ٥٣: الموصلي. وهو الأشبه.
(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٣/ ٤٢٤.
(٣) من قوله: وقال أبو الحسن الطوسي... إلى هنا ليس في (ب).
(٤) انظر مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٣٩. وما بين حاصرتين من (ب).
(٥) في (خ) و(ف): أصلح. والمثبت من (ب). وانظر تاريخ بغداد ١٦/ ٤٠٠.
(٦) في تاريخ بغداد ١٦/ ٣٩٩: خزية. وانظر سير أعلام النبلاء ١٢/ ١٧، والقاموس المحيط، ولسان العرب (خرب).
(٧) ما بين حاصرتين من (ب).
(٨) في (خ) و(ف): عبيد الله. والمثبت من (ب)، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٩٥، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٧، وفي (ب): وحكى الخطيب عن أحمد بن عبيد قال. ولم أقف عليه في تاريخ بغداد.

على الحسد[١]، فنادمَه، وكان ابنُ السكِّيت يحبُّ عليًّا عليه السلام وأهلَ بيته، فلما هَدَم المتوكِّلُ قبرَ الحسين رضي الله عنه، وعمل ابنُ السكِّيت الأبيات التي [في] أولها: [من الكامل]

بـالله إنْ كـانـت أمـيَّـةُ قـد أتـت قـتـلَ ابـن بـنـت نـبـيِّـهـا مـظـلـومَـا

وقد ذكرناها فيما تقدم[٢]، [و] بلغت المتوكِّلَ، فبقيَ في قلبه، وكان ابنُ السكِّيت يؤدِّب المعتزَّ والمؤيَّد، فحضر ليلة عند المتوكِّل، فتمثَّل المتوكِّل؛ فقال له يا يعقوب: أيُّما أفضل، [عليٌّ] بن أبي طالب وولداه الحسن والحسين، أم أنا وولداي؟ فغضب ابنُ السكِّيت رحمه الله وقال: والله إنَّ شعرةً من قَنْبَر خيرٌ منك ومن ولديك، فأمرَ المتوكِّلُ الأتراكَ فداسُوا بطنَه، وحُمِل إلى بيتِه، فماتَ من غد ذلك اليوم، فقال أحمد ابن عبيد [هذين البيتين:] [من الطويل]

نـهـيـتُـك يـا يـعـقـوبُ عـن قُـرْب ظـالـم[٣] إذا مـا سَـطـا أربـى عـلـى كـلِّ ضَـيـغـم

فذقْ واحسُ ما استحسنتَه لا أقولُ إذْ[٤] عـثـرتَ لـعـاً بـل لـلـيـديـن ولـلـفـم

[واختلفوا في وفاته، فقال الخطيب: مات في سنة ثلاث وأربعين ومئتين][٥]، وقد بلغَ ثمانياً وخمسين سنة، وقيل: ماتَ [في] سنة أربع وأربعين، [أو] سنة ستٍّ وأربعين ومئتين[٦].

[وقال الخطيب: كان يعقوب][٧] من أهل الدين والفضل والثقة والأمانة، موثوقاً بروايته[٨].

روى عن محمد بن السمَّاك، والأصمعيّ، وأبي عُبيدة، والفرَّاء، وغيرهم، ورَوى عنه أبو عكرمة الضبيُّ، وميمون بن هارون الكاتب، وأبوه إسحاق، وكتبُه جيِّدة[٩].

---

(١) في (ب): فحمله قول على الحسد. وفي وفيات الأعيان: فحمل قولي على الحسد.

(٢) عند أحداث السنة ٢٣٦هـ.

(٣) في معجم الأدباء ٢٠/ ٥١، وإنباه الرواة ٤/ ٥٤، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٩٦: شادن.

(٤) في إنباه الرواة ووفيات الأعيان: واحْسُ ما استحسيتَهُ لا أقول إذْ. وفي معجم الأدباء: واحْسُ إني لا أقول الغداة إذ.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): ومات في هذه السنة.

(٦) تاريخ بغداد ١٦/ ٤٠٠.

(٧) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وكان.

(٨) تاريخ بغداد ١٦/ ٣٩٧.

(٩) انظر تاريخ بغداد ١٦/ ٣٩٨، وإنباه الرواة ٤/ ٥١، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٩٥، ومن قوله: روى عن محمد السمَّاك... إلى هنا. ليس في (ب).